□ عُلُوُّ الهِمَّةِ في طلبِ الجنَّة □

قال تعالى : ﴿ وفي ذلك فلْيتنافَسِ المتنافسون ﴾ .

مطلبٌ يستحقُّ المنافسة ، أُفقٌ يستحقُّ السباق ، وغايةٌ تستحقُّ الغلاب .

والذين يتنافسون في شيء من أشياء الأرض – مهما كبر وجلَّ وارتفع وعظم – إنما يتنافسون في حقير فانٍ قريب . والدنيا لا تزن عند الله جَنَاح بعوضة ، هزيلة زهيدة ، فهوّنْ من شأنها ، وارفع نفسَك عنها ... لَعِبٌ ولهوٌ وزينة وتفاخر وتكاثر .

فليس السباق إلى إحراز اللَّهْو واللعب والتفاخر والتكاثر : بسباقٍ يليق بمن شَبُّوا عن الطَّوْق ، وتركوا عالَم اللَّهْو واللَّعب للأطفال والصغار ، إنما السباق إلى ذلك الأفق ، وإلى ذلك الهدف ، وإلى ذلك المُلْك العريض ﴿ وجنةٍ عَرْضُها كعرضِ السماءِ والأرض ﴾ [الحديد : ٢١] .

مَن رضي بالحظِّ الخسيس مِن عاجل الدنيا ؛ بقي عن نفيس الآخرة .

إن الحياة للأرض حياة تليقُ بالديدان والزواحف ، والحشرات والهوامِّ ، والوحوش والأنعام ، فأمّا الحياة الآخرة فهي الحياة اللائقة بذلك الإنسان الكريم على الله ، الذي خلقه فسوَّاه ، وأودع رُوحه الإيمان الذي ينزع به إلى السماء ، وإن استقرَّت على الأرض قدماه .

إن من شاء التفاوتَ الحقَّ ، والتفاضُلَ الضخم ؛ فهناك في الآخرة ، هنالك في الرقعة الفسيحة ، والآماد المتطاولة التي لا يعلم حدودها إلّا الله ، وفي ذلك فليتنافسِ المتنافسون ، لا في متاع الدنيا القليل الهزيل !! .

الآخرة ثقيلة في ميزان الله :

والتنافس في أمر الآخرة يرتفع بأرواح المتنافسين جميعًا ، بينما التنافس

في أمْر الدنيا ينحطُّ بهم جميعًا .

التنافس في الآخرة يرفع الأرواح إلى آفاقٍ أرفع وأطهر من المستنقع الآسِن .

إن مستوى النعيم في هذه الدنيا معروف ، ومستوى النعيم هناك يليق بالخلود ؛ فأين مجالٌ من مجال ؟ وأين غاية من غاية ؟ .

ألا إن السباق إلى هناك :

« فهلمَّ إلى الدخول على الله ومجاورته في دار السلام ، بلا نصَبٍ ولا تعَبٍ ولا عناء ، بل من أقرب الطرق وأسهلها ، وذلك أنك في وقت بين وقتيْن ، هو في الحقيقة عمرك ، وهو وقتك الحاضر ، بين ما مضى وما يُستقْبَل ؛ فالذي مضى تُصلحه بالتوبة والندم ، وهو عمل قلبٍ ، وما يُستَقبَل تُصلحه بالعزْم والتوبة »[1] .

إن مفاوز الدنيا تُقطع بالأقدام .. ومفاوز الآخرة تُقطع بالقلوب .

أخي ، إيَّاك أن تكون ممن قال فيهم يحيى بن معاذ الرازي : « عملٌ كالسَّرَاب ، وقلب من التقوى خراب ، وذنوب بعَدَد الرَّمْل والتراب ، ثم تطمع في الكواعب الأتراب ؟! هيهات ؛ أنت سكران بغير شراب . ما أكملك لو بادرتَ أمَلَكَ ! ما أجلَّك لو بادرتَ أجلك ! ما أقواك لو خالفت هواك ! »[2] .

يا هذا ، لقد أعظمتَ المَهْرَ وأسأت الخِطبة .

إنَّها الجنة :

التي حولها دندن رسول الله ﷺ وأنبياءُ الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(١) الفوائد لابن القيم .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ١٦٧/٦ .

إنَّها الجنة :

بأنفاسها الرضية النديَّة ، تتجلّى عليها طلْعة الرحمٰن الجليلة البهيَّة .

إنها الجنة التي اشتاق إليها الصالحون مِن هذه الأمة :

فهذا (**عُمَيْر بن الحمام**) الصحابي الجليل ، في يوم بدر يسمع رسول الله ﷺ يقول : « قوموا إلى جنة عرضُها السموات والأرض » . يقول عمير ابن الحمام الأنصاري : يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : « نعم » . قال : بَخٍ بخٍ . فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قول : بخٍ بخٍ ؟ » . قال : لا والله يا رسول الله ، إلَّا رجاء أن أكون من أهلها . قال : « فإنك من أهلها » . قال : فأخرج تمْراتٍ من قرنه فجعل يأكل منهنَّ ، ثم قال : لئنْ حَيِيتُ حتى آكل تمراتي هذه ؛ إنها لَحَياةٌ طويلة . قال : فرمىٰ ما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتل . رَحِمَه الله[1] .

وذكَر ابن جرير أن عُمَيرًا قاتل وهو يقول - رضي الله عنه -:

رَكْضًا إلى اللهِ بغيرِ زادِ   إلّا التُّقى وعَمَل المعَادِ

وهذا سيد بني سَلَمَة (**عمرو بن الجموح**) رضي الله عنه ؛ « لمّا كان يوم أُحد قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عَرْضُها السموات والأرض أُعدَّت للمتقين » . فقام وهو أعرج ، فقال : والله لأقحزنَّ[2] عليها في الجنة . فقاتل حتى قُتل »[3] .

إنها الجنة :

فسلوا عنها السيِّد الشهيد (**جعفرَ الطَّيَّار**) رضي الله عنه : الذي قال شوقًا إليها في يوم مُؤْتَة :

---

(١) رواه أحمد ومسلم .

(٢) أي : لأثِبَنَّ . والقحْزُ : الوَثْبُ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١/٢٥٣ .

يا حبَّذا الجنةُ واقتِرابُها طيِّبةٌ وباردٌ شرابُها

إنها الجنة :

الجزاءُ الرفيعُ الخالص الفريد .. الجزاء الذي تتجلَّى فيه ظلال الرعاية الخاصَّة ، والإعزاز الذاتي ، والإكرام الإلـٰهي ، والحفاوة الربَّانيَّة بهذه النفوس ؛ ﴿ **فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهـم من قرَّة أَعْيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ [السجدة : ١٧] ؛ تعبير عجيب يَشي بحفاوة الله سبحانه ، وتولِّيه بذاته العليَّة إعدادَ المذخور لهم عنده ؛ من الحفاوة والكرامة مما تَقَرُّ بِهِ العيون.. هذا المذخور الذي لا يطَّلع عليه أحد سواه ، والذي يظلُّ عنده خاصَّة مستورًا ، حتى يُكشَف لأصحابه عند يوم لقائه ، عند لُقياه ؛ وإنها لَصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله .

يا الله !! كم ذا يُفيض الله على عباده من كرمه !! وكم ذا يغمرهم سبحانه بفضله !! ومَن هم حتى يتولَّى اللهُ جلَّ جلاله إعدادَ ما يدَّخره لهم من جزاء ، في عناية ورعاية ووُدٍّ واحتفال ، لولا أنه فضل الكريم المنَّان !! فضل الله الكريم حتى يفتح أبواب رحمته الواسعة ، أبواب الجنان .

إنها الجنة :

التي غَرَسَ غراسَها الرحمـٰن بيده ؛ فرحم الله أقوامًا عظَّموا مَن غرسَها ، وقدَروا قدْرَ الغرس .

وفي الحديث الصحيح : « قال : يا ربِّ ، أخبرني بأعلاهم منزلةً . قال : أولئك الذين أردتُ ، وسوف أُخبرك ؛ غرستُ كرامتهم بيدي وختمتُ عليها ... » . فقد أَخبر أنه غرَس جنَّتهم بيده سبحانه .

ومن حديث ابن عمر موقوفًا : « خلَق اللهُ أربعة أشياء بيده : العرش ،

والقلَم ، وعذْن ، وآدم عليه السلام »[١] .

إنها الجنة :

التي لا يُسأل بوجْهِ اللهِ العظيمِ غيرُها ، لكرامتها على الله .

إنها الجنة :

فسلوا عنها (**أنسَ بن النضْر**) رضي الله عنه :
يقول لسعد بن معاذ : « واهًا لريح الجنة !! أجده دون أُحُد »[٢] .
وفي « أُسْد الغابة » : « أي سعد ، هذه الجنة وربِّ أنس ، أجد ريحها دون أُحد »[٣] .

يا ابن النضر ، طال شوقكم إلى الجنة ، وطهَّرتْ منكم الأقوالَ والأعمالَ والأجساد ، فشَمَمْتُم عبير الجنة !! ونحن زُكمتْ أُنوفنا بعِطْر الكاسيات العاريات وبجيف الدنيا ، فلم تجد الجنة فيها موضعًا .

إنها الجنة :

خُذْني إلى بيتي أرِحْ خدِّي على عتباتهِ
وأبوس مقبضَ بابهِ
خذْني إلى وطنٍ أموتُ مشرَّدًا
إن لم أُكحِّلْ ناظري بتُرابهِ

إنها الجنة :

دار كرامة الرحمٰن ؛ فهل مِن مشمِّرٍ لها ؟

---

(١) رواه الدارمي في : الردّ على بشْر المريسي ، والبيهقي في : الأسماء والصفات ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .
(٢) البداية والنهاية ٦/٣٣ .
(٣) أسد الغابة ١/١٥٥ .

نحـنُ اعتصرْنَا غيْمَ كلِّ خرائطِ الدنيا
وأشـعار الحنين إلى الوطنْ
لا ماؤها يروي ولا أشعارها تكوي
ولا تُنسي عـــدنْ

إنها الجنة :

فاعمل لها بقدْرِ مقامك فيها .

إنها الجنة :

فاعمل لها بقدْر شوقك إليها .

يقول ابن القيم : « لمّا علم الموفَّقون ما خُلقوا له وما أريد بإيجادهم ؛ رفعوا رؤوسهم ، فإذا علَمُ الجنة قد رُفع لهم فشمَّروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغبْن بيْعَ ما لا عيْن رأت ، ولا أُذن سمِعَتْ ، ولا خطر علىٰ قلب بَشَر ، في أبدٍ لا يزول ولا ينفد ، بصبابة عيْش إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيْف زار في المنام ، مشوب بالنغص ، ممزوج بالغُصَص ، إن أضحَكَ قليلًا أبكىٰ كثيرًا ، وإن سرَّ يومًا أحْزَنَ شهورًا ؛ آلامه تزيد على لَذَّاته ، وأحزانه أضعاف مَسـرَّاته ، أوَّلُه مخاوِف ، وآخره مَتَالِف .. فيا عجبًا من سفيه في صورة حليم ، ومعتوه في مسلاخ عاقل ، آثَرَ الحظَّ الفاني على الحظِّ الباقي النفيس . وباع جنة عَرْضها الأرض والسمٰوات ، بسجنٍ ضيِّق بين أرباب العاهات والبليَّات . ومساكن طيِّبة في جنات عدْن تجرى من تحتها الأنهار ؛ بأعطان ضيقةٍ آخرها الخراب والبوار . وأبكارًا عُرُبـًا أترابًا كأنهنَّ الياقـوت والمَرْجان، بقَذِراتٍ دَنِسَاتٍ سيِّئات الأخلاق ، مُسَافِحاتٍ أو متَّخذاتِ أَخْدان . وحورًا مقصوراتٍ في الخيام ، بخبيثاتٍ مسيَّباتٍ بين الأنام . وأنهارًا من خمْرٍ لذَّةٍ للشاربين ، بشرابٍ نَجِسٍ مُذهِبٍ للعقل ، مُفسد

للدنيا والدين. ولَذَّة النظر إلى وجْه العزيز الرحيم، بالتمتُّع برؤية الوجْه القبيح الدميم. وسَمَاعَ الخطابِ من الرحمـٰن، بسماعِ المعازف والغناء والألحان. والجلوس على منابرِ اللؤْلؤ والياقوتِ والزَّبرجدِ يوم المزيد بالجلوس في مجالس الفسوق مع كلِّ شيطان مَرِيد. ونداء المنادي: يا أَهل الجنة، إنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا، وتحيَوْا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا، وتشِبُّوا فلا تهرموا؛ بغناء المغنِّين.

وَقَفَ الهوىٰ بي حيثُ أنتَ فليسَ لي ... متأخَّرٌ عنهُ ولا متقدَّمُ
أجدُ الملامةَ في هواكَ لذيذةً ... حبًّا لذكْرِكَ فلْيَلُمْني اللُّوَّمُ

وإنما يظهر الغبْن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبيَّن سَفَهُ بائعه يوم الحسرة والندامة؛ إذا حُشر المتقون إلى الرحمٰن وفدًا، وسيق المجرمون إلى جهنَّم وِرْدًا، ونادىٰ المنادي على رؤوس الأَشْهادِ: ليَعْلمنَّ أهْلُ الموقفِ مَنْ أَوْلى بالكرمِ مِنْ بين العباد. فلو توهَّم المتخلِّف عن هذه الرُّفْقَة ما أعدَّ الله لهم من الإكرام، وادَّخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفى لهم من قُرَّة أعْيُنٍ لم يقعْ على مِثلِها بصَرٌ، ولا سمِعَتْهُ أُذُنٌ ولا خطَر على قلب بشر- لعَلِمَ أيَّ بضاعةٍ أضاع، وأنَّه لا خيرَ له في حياته وهو معدود من سقَطِ المتاع، وعلِم أنَّ القوم قد توسَّطوا ملكًا كبيرًا لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال: فهم في روضاتِ الجنَّة يتقلَّبون، وعلى أسِرَّتها تحتَ الحِجال يجلسون، وعلى الفُرش التي بَطَائِنُها مِن إستبرقٍ يتَّكِئون، وبالحُور العِين يتنعَّمون، وبأنواع الثمار يتفكَّهُون، و ﴿**يطوف عليهم ولدان مخلَّدون بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من معين لا يُصدَّعون عنها ولا يُنزفون وفاكهة ممَّا يتخيَّرون ولَحْمِ طيْرٍ مما يشتهون وحُور عِينٍ كأمثال اللُّؤلؤ المكنون جزاءً بما كانوا يعملون**﴾.

﴿**يُطاف عليهم بصحافٍ من ذهَبٍ وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعْيُن وأنتمْ فيها خالدون**﴾.

تالله لقد نُودي عليها في سُوق الكَسَاد، فما قلَّب ولا استام إلّا أفرادٌ من العِبَاد، فواعجبًا لها كيفَ نام طالبُها، وكيف لم يسمحْ بمَهْرِها خاطبُها؟!

وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها ؟! وكيف قرَّ للمشتاقِ القَرَارُ دون معانقة أبكارها ؟! وكيف قرَّتْ دونها أعْين المشتاقين ؟! وكيف صبرَتْ عنها أنفس الموقنين ؟! وكيف صدَفت عنها قلوبُ أكثرِ العالَمين ؟! وبأيِّ شيءٍ تعوَّضَتْ عنها نفوس المُعْرِضين ؟! »[1] .

قال رسول الله ﷺ : « مَن خاف أدلج ، ومَن أدلَجَ بلغَ المنزل ، ألَا إنَّ سِلْعَةَ الله غالية ، ألَا إن سلعة اللهِ الجنة »[2] .

وفي الصحيح : « إن الله عز وجلَّ يقول لآدم عليه السلام : يا آدمُ ، اذهبْ فأخرج بعْثَ ذرِّيَّتك إلى النار؛ فيخرج من كلِّ ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين » .

يا سلعة الرحمٰن ، هل ينالُك في عُلاك إلّا كلُّ عالي الهمة غير مُخلِدٍ إلى الأرض والحطامِ الفاني ؟!

يا سلْعةَ الرحمٰن لستِ رخيصةً بلْ أنتِ غاليةٌ على الكَسْلانِ
يا سلعةَ الرحمٰنِ ليسَ ينالُها في الأَلفِ إلّا واحدٌ لا اثنانِ
يا سلعةَ الرحمٰنِ ماذا كُفْؤُها إلّا أولو التقوىٰ مع الإيمانِ
يا سلعةَ الرحمٰنِ سُوقُكِ كاسِدٌ بين الأراذلِ سفلةِ الحيوانِ
يا سلعةَ الرحمٰنِ أين المُشترِي فلقدْ عُرِضْتِ بأيْسر الأثمانِ
يا سلعةَ الرحمٰنِ هلْ منْ خاطبٍ فالمهرُ قبلَ الموتِ ذو إمكانِ
يا سلعةَ الرحمٰنِ كيف تَصَبّر الْـ ـخُطّاب عنكِ وهمْ ذوو إيمانِ

---

(١) حادي الأرواح ص٦ - ٧ .

(٢) صحيح : رواه الترمذي ، والحاكم وصححه عن أبي هريرة ، ورواه عبد بن حُميد ، والعقيلي في « الضعفاء » وأبو نعيم ، والقضاعي ، والحاكم عن أُبيّ ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٠٩٨ .

يا سلعةَ الرحمٰنِ لولا أنَّهـا حُجِبَتْ بكلِّ مكارِهِ الإنسـانِ
ما كان عنها قطُّ مِن متخلِّفٍ وتعطَّلتْ دارُ الجزاءِ الثانـي
لكنَّها حُجِبَتْ بكلِّ كريهـةٍ لِيُصَدَّ عنها المُبطِلُ المتوانـي
وتنالُها الهممُ التي تسمو إلىٰ ربِّ العُلىٰ بمشيئةِ الرحمٰـنِ
فاتعبْ ليومِ معادِكَ الأدنى تجدْ راحاتِهِ يـومَ المعادِ الثانـي
وإذا أبتْ ذا الشان نفسُكَ فاتَّهمْـ ـها ثمَّ راجِعْ مَطْلَعَ الإيمـان
فإذا رأيتَ الليلَ بَعْدُ وصبحَهُ ما انشـقَّ عنهُ عمـودُه لأَذَانِ
والناسُ قد صلّوا صلاةَ الصبحِ وانـ ـتظروا طلوعَ الشمسِ قُرْبَ زمانِ
فاعلمْ بأنَّ العيْنَ قد عَمِيَتْ فنا شِدْ ربَّكَ المعروفَ بالإحسانِ
واسْألْهُ إيمانًا يُباشرُ قلبَكَ الْـ ـمحجوبَ عنهُ لِتنظرَ العينانِ
واسألْهُ نورًا هاديًا يَهديكَ في طُرُقِ المسـيرِ إليهِ كـلَّ أَوَانِ

إنها الجنَّة :

لله قومٌ نهضتْ بهم عزائمهم نحو الجنة فسَرَوْا إليها مدلجين ، لم ينزلوا بشيء من منازل الطريق مستريحين ، ولكنهم واصلوا السيْر إلى غايتهم مُعرضين عن هذا الخزف الخسيس مُؤْثرين عليه الذَهَبَ النَّفيس، ساروا إليها تَحْدُوهم أشواقهم قاصدين إليها غير متعثِّرين ولا مُعْوجِّين ، ولا وانين ولا متخلِّفين ، حتى وصلوا إلى غايتهم سالمين .. ما ضرَّهم في الدنيا ما أصابهم ، جبرَ الله لهم بالجنة كلَّ مصيبة .

وأخو البصائرِ حاضـرٌ متيقظٌ متفـرِّدٌ عن زمـرةِ العُمْيـانِ
يسمو إلىٰ ذاكَ الرفيقِ الأرفعِ الْـ أعلى وخَلَّىٰ اللَّعبَ للصبيـانِ
والناسُ كلُّهـمُ فصـبيانٌ وإنْ بَلغُوا سِوىٰ الأفراد والوجدانِ
وإذا رأىٰ ما يشتهيهِ قالَ مَوْ عِـدُكَ الجنانُ وجدَّ في الأثمانِ
وإذا أَبَتْ إلّا الجِمَاحَ أعاضَها بالعلْـمِ بعـدَ حقائقِ الإيمـانِ

تاللهِ ما عقلَ امرؤٌ قد باع ما   يبقى بما هو مضمحلٌّ فانِ
هذا ويُفتي ثم يقضي حاكمًا   بالحجرِ من سَفَهٍ لذا الإنسانِ
إذْ باعَ شيئًا قدْرُهُ فوقَ الذي   يعتاضُه مِن هذه الأثمانِ
فمَن السَّفيهُ حقيقةً إنْ كنتَ ذا   عقلٍ وأنّى العقلُ للسَّكْرانِ

إنها الجنة :

دار الموقنين بوعد الله .

تسعى بهم أعمالُهُمْ سَوْقًا إلى الـــدَّارين سَوْقَ الخيلِ بالرُّكْبَانِ
صبروا قليلًا فاستراحوا دائمًا   يا عِزَّةَ التوفيقِ للإنسانِ
حمدوا التُّقى عند المماتِ كذا السُّرى   عندَ الصباحِ فحبَّذا الحَمْدانِ
وحَدَتْ بهمْ عزمَاتُهمْ نحوَ العُلا   وسَرَوا فما نزلوا إلى نعمانِ
باعُوا الذي يفنى من الخزَف الخسيـ   ـسِ بدائمٍ من خالصِ العقْيانِ
رُفِعَتْ لهم في السَّيْر أعلامُ السَّعَا   دَةِ والهدى يا ذلَّةَ الحيرانِ
فتسابَقَ الأقوامُ وابْتدروا لها   كتسابُقِ الفرسانِ يوم رهانِ
وأخو الهُوَيْنى في الدِّيارِ مُخَلَّف   معَ شكْلِهِ يا خيْبَةَ الكسلانِ

إنها الجنة :

فسلوا عنها الصحابيَّ الجليل (**حرام بن ملْحان**) رضي الله عنه :

عن أنس بن مالكٍ قال : لمّا طُعِن حرام بن ملحان – وكان خالَ أنسِ بن مالك – قال : فزْتُ وربِّ الكعبة . رواه البخاري .

وفي رواية : أنه نثَر الدمَ على رأسِه وقال : فزتُ وربِّ الكعبة .

إنها الجنة :

فسلُوا عنها الصحابَي الجليل (**عامر بن فُهيرة التميمي**) :

« لمّا طَعن جبَّارُ بنُ سُلمى عامرَ بن فُهيرة يومَ بئر معونة ، فقال عامر :

فزتُ وربِّ الكعبة ، ورُفِع من رُمْحه ، فلم تُوجد جثته ، فأسلم جبّارٌ لذلك وحسن إسلامه »[(١)] .

«لمّا قتل عامر يومَ بئر معونة، وأُسر عمرو بن أمية، فقال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ وأشار إلى قتيلٍ ، فقال له عمرو بن أمية : هذا عامر بن فهيرة . فقال : لقد رأيتُه بعد ما قُتل رُفع إلى السماء ، حتى إني لَأَنظر إلى السماء بينه وبين الأرض »[(٢)] .

« وروى البخاري من طريق أبي أسامة ، عن هشام : أن عامر بن الطفيل سأل عمرو بن أمية عن ذلك »[(٣)] .

قال الزهري : بلغني أنهم التمسوا جسَدَ عامر بن فهيرة ، فلم يقدروا عليه .

إنها الجنة :

فسلوا عنها (**سعد بن خيْثمة بن الحارث**) رضي الله عنه :

« استَهَمَ يومَ بدرٍ خيثمة بن الحارث وابنُه سعد ، فخرج سهمُ سعد ، فقال له أبوه : يا بُنيّ ، آثِرْني اليومَ . فقال له سعد : يا أبتِ ، لو كان غير الجنة ؛ فعلْتُ . فخرج سعد إلى بدرٍ فقُتِل بها . وما زال أبوه خيْثمة يتطلّع إلى الجنة حتى كان يوم أحد ، فقتل يومَ أحد »[(٤)].

---

(١) الإصابة في تراجم الصحابة لابن حجر العسقلاني ٢٢١/١ . رواها ابن إسحاق والواقدي ، ونقلها عنهما ابن حجر .

(٢) الحلية ١١٠/١ .

(٣) الإصابة ٢٤٧/٢ .

(٤) الإصابة ٢٤/٢ ، وقفات مع الأبرار للدكتور محمد لطفي الصباغ . ص٢٠٢ – المكتب الإسلامي .

إنها الجنة :

فسلوا عنها (**عبد الله بن غالب**) رحمه الله :

رآه مالك بن دينار في إحدى المعارك ، و « سمِعَه يقول - وقد تلاحمت الصفوف -: إني أرى ما ليس عليه صَبْرٌ .. روِّحوا بنا إلى الجنة ... ثم كَسَر جفن سيفه وتقدَّم فقاتَلَ حتى قُتل »[1] .

إنها الجنة :

فسلوا عنها (**كثير بن مُرَّة**) :

قال : « إن مِن المزيد في الجنة : أن تمرَّ السحابةُ بأهل الجنة فتقول : ماذا تريدون أن أُمطركم ؟ فلا يتمنَّون شيئًا إلا أُمطروا . قال كثير : لئن أشهدَني اللهُ ذلك ، لأقولَنَّ : أمطرينا جواريَ مزيَّنات » .

إنها الجنة :

فسلوا عنها (**أبا سليمان الداراني**) :

قال لأحمد بن أبي الحواري: «بينما أنا ساجد إذ ذهب بي النوم، فإذا أنا بالحَوْراءِ قد ركضتْني برجلها، فقالت: يا حبيبي، أترقد عيناك والملكُ يقظان ينظر إلى المتهجدين في تهجُّدهم؟! بؤسًا لعيْن آثرت لذَّة نوم على مناجاة العزيز، قمْ فقد دنا الفراغ ولقي المحبُّون بعضهم بعضًا؛ فما هذا الرقاد؟! حبيبي وقرَّة عيني، أترقد عيناك وأنا أُربَّى لك في الخدور منذ كذا وكذا؟! فوثبْتُ فَزِعًا وقد عَرِقْتُ استحياءً من توبيخها إياي، وإنَّ حلاوة مَنْطِقِها لَفي سمعي وقلبي»[2] .

وأنشدتْه شعرًا حفِظ منه:

أتطلبُ مثلي وعنّي تنامُ ... ونومُ المحبِّين عنا حرامُ
لأنَّا خُلقنا لكلِّ امرئٍ ... كثير الصلاةِ بَراهُ القيامُ

إنها الجنة:

فسلوا عنها (**عطاء السليمي**):

قال عطاء السليمي لمالك بن دينار: يا أبا يحيى، شوِّقنا. قال: يا عطاء،

(١) الموعد الله لخالد محمد خالد ص١٢٤- مكتبة الزهراء.

(٢) صفة الصفوة ٤/٢٢٥ .

إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحُسْنها ، لولا أن الله كتب على أهل الجنة ألّا يموتوا ؛ لَمَاتوا من حُسْنها . فلم يزل عطاء كَمِدًا من قول مالك .

يا خاطب الحُورِ الحسانِ وطالِبًا لِوِصالهـنَّ بجنــة الحيـــوانِ
لو كنتَ تدري مَن خطبتَ ومَن طَلَبْـتَ بذلتَ ما تحوي من الأثمانِ
أو كنتَ تدري أين مسكنُها جعلْـتَ السَّعْيَ منك لها على الأجفانِ

إنها الجنة :

فسَلُوا عنها (**عبد الواحد بن زيد**) :

نام عبدُ الواحد بن زيد عن وِرْده، فإذا هو بجاريةٍ لم يَرَ أحسنَ منها وجهًا ، عليها ثيابُ حريرٍ خُضْر: « وهي تقول : يا ابن زيد ، جِدّ في طلبي، فإني في طلبك . ثم جعلت تقول :

مَن يشتريني ومَنْ يكن سكني يأمنْ في ربحِهِ من الغبـنِ

فقلتُ : يا جارية،ما ثمنك ؟ فأنشأت تقول :

تـودُّدٌ للهِ مـعْ محبَّتِـهِ وطولُ فكر يُشابُ بالحزنِ

فقلتُ : لمن أنتِ يا جارية ؟ فقالت :

لمالـكٍ لا يـردُّ لي ثمنًا مِن خاطبٍ قد أتاه بالثَّمن»

فاخطب الحوراء من سيدها ومولاها ، وقدّم مهرها ما دمت ذا إمكان .

أتلهو بالكـَرى عن طِيب عيـشٍ مـعَ الخيراتِ في غُرَفِ الجِنـانِ
تعيشُ مُخلَّدًا لا مـوتَ فيـهِ وتنعـمُ في الجِنان مع الحِسـانِ
تيقّـظْ مِـن منامـك إنَّ خيـرًا مـن النـومِ التهـجُّدُ بالقـرانِ

إنها الجنة :

قال مجاهد : إن أدنى أهل الجنة منزلًا لَمَنْ يسيرُ في مُلكه ألفَ سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ؛ وأرفعهم الذي ينظر إلى ربِّه بالغداة والعَشِي[1] .

(١) إحياء علوم الدين ٤/٥٧٧ .

قال يحيى بن معاذ : تَرْك الدنيا شديد ، وفوت الجنة أشدُّ ، وتَرْك الدنيا مَهْرُ الآخرة .

وقال رحمه الله : في طلب الدنيا ذُلّ النفوس ، وفي طلب الآخرة عِزُّ النفوس ، فيا عجبًا لمن يختار المذلّة في طلب ما يفنى ، ويترك العزَّ في طلَبِ ما يبقى !! .

إنها الجنة :

فسلوا عنها (**عمر بن عبد العزيز**) :

قال لرجاء بن حَيْوة : يا رجاء ، إن لي نفسًا توّاقة ، تاقت إلى فاطمة بنتِ عبد الملك فتزوجتُها ، وتاقتْ إلى الإمارة فوُلِّيتُها ، وتاقت إلى الخلافة فأدركتُها ، وقد تاقت إلى الجنة ، فأرجو أن أدركها ، إن شاء الله عز وجل[1] .

إنها الجنة : يُغشى على الصالحين من خوْفِ فواتها :

وسلوا (**مالك بن دينار**) :

قال رجل لمالك بن دينار : « رأيتُ فيما يرى النائم مناديًا ينادي : الرحيلَ الرحيلَ . فما رأيتُ أحدًا يرتحل إلا محمد بن واسع ، فصاح مالك وغُشي عليه ، ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ [الواقعة : ١٠] » .

إنها الجنة : يموت الصالحون شوقًا إليها :

عن يزيد الرقاشي قال : بلغني أن نورًا سطع في الجنة ، لم يبقَ موضع في الجنة إلّا دخل من ذلك النور فيه : فقيل . ما هذا ؟ قال : حوراء ضحِكَت في وجْه زوجها . قال صالح المرّي : فشهِقَ رجلٌ من ناحية المسجد ، فلم يزل

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٠١/٢ ، وصفحات مشرقة من حياة السابقين لنذير محمد مكتبي – دار البشائر الإسلامية .

يشهق حتى مات .

أنا ما حسدت الكافرين وقد غَدَوا   في أَنْعُمٍ ومواكبٍ وقصورِ
بَلْ مِحنتي أنْ لا أرى في أمَّتي   عملًا أقدِّمه صَدَاق الحُورِ

ويومَ القيامة سيعلمُ الجمْع من أولى وأحقُّ بالخيِّرات الحسَان .. فكيف تغفلُ عنهنَّ ؟! مثِّل بفكْرِك أين يعشْنَ ، وما يأكُلن ، وما يشربنَ .

دَع المصوغاتِ من ماءٍ وطِينِ   واشغلْ هواكَ بحُورٍ عينِ

إنها الجنة :

فسلوا عنها (**يحيىٰ بن معاذ**) الواعظ :

كان رحمه الله يقول : « لست أبكي علىٰ نفسي إن ماتت ، إنما أبكي على حاجتي إن فاتت »[1] .

« وقال رحمه الله : يا ابن آدم طلبتَ الدنيا طَلَبَ مَن لا بدَّ له منها ، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له إليها ، والدنيا قد كفيتَها وإن لم تطلبها ، والآخرة بالطَّلَب منك تنالُها ، فاعقلْ شأنك .

وقال رحمه الله : لو سمع الخلْق صوتَ النياحة على الدنيا في الغيْب من ألسنة الفناء ؛ لتساقطتِ القلوب منهم حُزْنًا . ولو رأتِ العقول بعُيون الإيمان نزهةَ الجنة ؛ لَذابتِ النفوسُ شوْقًا . ولو أدركتِ القلوب كُنْه المحبَّة لخالقها ؛ لَانخلعتْ مفاصلها وَلَهًا ، ولَطارت الأرواح إليه من أبدانها دهشًا . سبحان من أغفل الخليقة عن كُنْه هذه الأشياء ، وألهاهم بالوصف عن هذه الأنباء !! .

وقال رحمه الله : الدنيا خراب ، وأخربُ منها قلبُ مَن يعمِّرها . والآخرة دار عمران ، وأعمر منها قلبُ مَن يطلبها »[2].

---

(١) السير ١٣/١٥ - ١٦ .

(٢) صفة الصفوة ٤/٩٣ - ٩٥ .

وقال : « سبحان من طيَّب الدنيا للعارفين بمعرفته ، وسبحان مَن طيَّب لهم الآخرة بمعذرته ، فتلذَّذوا أيَّام الحياة بالذكْر في مجالس معرفته ، وغدًا يتلذَّذون في رياض القدْس بشراب مغفرته ، فلهم في الدنيا زرْعُ ذِكْرٍ ، ولهم في الآخرة ربيعُ بِرٍّ . ساروا على المطايا مِن شكْره حتى وصلوا إلى العطايا من ذخره ؛ فإنه مَلِكٌ كريم »(١) .

وقال : سبحان من يبيع الحبيبةَ بالبغيضة !! يعني الدنيا . الجنة حبيبةُ المؤمن يبيعها منه بالبغيضة يعني الدنيا .

وقال : قد دعاك إلى دار السلام ؛ فانظر مِن أين تُجيبه ؟ أَمِنَ الدنيا أم مِنْ قبْرك ؟ إنك إن أجبتَه من دنياك دخلتَها ، وإن أجبتَه من قبرك مُنِعتَها .

وقال : إن كنتَ ذا قلبيْن ، فدونك اجعلْ أحدهما للدنيا وأحدهما للآخرة ، وإن كنتَ ذا قلب واحد فاجعلْه لأَوْلى الدارَيْن بالنعيم والمقام ، والإبقاء والإنْعام

وقال : اعلموا أن القرآن قد ندبكم إلى وليمة الجنة ودعاكم إليها ؛ فأسرَعُ الناس إليها: أتركُهم لدنياه ، وأوجدهم لذَّةً لطعم تلك الوليمة : أشدُّهم تجويعًا لنفسه ومخالفةً لها .

وقال : « طوبى لعبدٍ أصبحتِ العبادةُ حرفَتَه ، والفقرُ منيتَه ، والعزْلة شهوتَه ، والآخرة هِمَّتَه ، وطَلَبُ العيْش بُلْغَتَه . وجعل الموت فكرتَه ، وشغل بالزهد نيّته ، وأمات بالذلِّ عزَّته ، وجعل إلى الربِّ حاجته . يذكر في الخلَواتِ خطيئته ، وأرسل على الوجْنَةِ عَبْرته ، وشكا إلى الله غُربته ، وسأله بالتوبة رحمته . طوبى لمن كان ذلك صفتَه ، وعلى الذنوب ندامته ؛ جئّارٌ الليلَ والنهارَ ، وبكّاءٌ إلى الله بالأسحار ، يُناجي الرحمٰن ، ويطلب الجنان ويخاف ....

---

(١) الحلية ١٠/٥٧ - ٥٨ .

النيران »[(١)] .

قال عطاء بن ميسرة : إني لا أوصيكم بدنياكم ، أنتم بها مستوصون ، وأنتم عليها حُرَّاص ، وإنما أوصيكم بآخرتكم ، فجدُّوا في دار الفناء لدار البقاء .

وقال أحمد بن حرب : أحدنا يُؤْثِر الظلَّ على الشمس ، فما بالنا لا نُؤْثِر الجنة على النار .

إنها الجنة : فيها جوارُ الرحمٰن وأنبيائه :

﴿ **للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة** ﴾ [يونس : ٢٦] . ﴿ **وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربِّها ناظرة** ﴾ [القيامة : ٢٢] . وانظر إلى مَن كمُلَتْ من النساء : آسية .. تقول : ﴿ **ربِّ ابنِ لي عندك بيتًا في الجنة** ﴾ [التحريم : ١١] قبل الدار طلبت الجار .

عبد الله بن أبي زكريا وشوقه إلى أهل الجنة :

« عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : أن عبد الله بن أبي زكريا كان يقول : لو خُيِّرتُ بين أن أُعمر مائة سنة من ذي قبل في طاعة الله ، أو أنْ أُقبَضَ في يومي هذا أو في ساعتي هذه ؛ لَاخترتُ أن أُقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه ؛ تشوُّقًا إلى الله وإلى رسوله ﷺ وإلى الصالحين من عباده »[(٢)] .

خالد بن معدان :

« عن عبدة بنت خالد بن معدان ، عن أبيها قالت : قلَّ ما كان خالد يأوي إلى فِراشِ مَقِيلِهِ ، إلّا وهو يذكر فيه شوقَه إلى رسول الله ﷺ ، وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار ، ثم يُسمِّيهم ويقول : هُمْ أصْلي وفَصْلي ، وإليهم يحنّ قلبي ، طال شوقي إليهم ، فعجِّلْ ربي قبضي إليك .. حتى يغلبه النوم وهو

(١) الحلية ١٠/٥٨ .

(١) روضة الزاهدين لعبد الملك الكليب ص٩٣ - مكتبة ابن تيمية .

في بعض ذلك »[١].

فاللهمَّ يا واهبَ المواهب ومجزلَ الرغائبِ ، نضّرِ اللهمَّ بالكمالِ لديك بهجتَنا ، بالنظر إليك في دار رحمتك .

يا من منح الأصفياء منازل الحق ومدى الغايات ، أخلصْنا بكمال رغبتنا ، وبما لا يبلغه سؤالنا . اللهمَّ أورثنا الغُرَف وجوارَ النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين ، وحسُن أولئك رفيقًا .

قالت أمُّ البنين أختُ عمر بن عبد العزيز : البخيل كلّ البخيل : مَن بخِلَ عن نفسه بالجنَّة .

« وقال رجل لابن السمَّاك : عِظني . فقال : احذرْ أن تُقْدِم على جنة عَرْضها السمٰوات والأرض وليس لك فيها موضعُ قدَمٍ »[٢].

* * *

---

(١) روضة الزاهدين ص٩٤ .

(٢) مجموعة الأخلاق والحكم لابن أبي الدنيا ص١٨ .